مع وضع اللغات المختلفة ، سواء أكان هـذا الواضع الله أم الإنسان ، وقد أورد ابن جنى عن الأخفش قوله : اختلاف لغات العرب إنما جاء من قبل أن أول ما وضع منها ، وضع على خـلاف ، وإن كان كله مسوقا على صحة وقياس ، فـكأنما كانت الأقيسة قوالب معدة لديهم عند الوضع ، وإذا كان لها هذا التأثير والقيمة ، فلا غرابة إذن أن تستخدم فى الترجيح والمفاضلة .

ومن المعلوم أن الأقيسة أحكام استنبطها الدارسون من ملاحظة ظواهر اللغة وأمثلتها فى البنيـة وتأليف الـكلام والإعراب ، وهذا شىء مطلوب فى البحث عامة ، وفى بحث اللغة خاصة ، فإذا انقلب الأمر به ، فأصبح أداة تحكم بدل أن يكون نتيجة ملاحظة ، واستخـدم فى الترجيح والمفاضلة بين اللغات بدل اقتصاره على مورده من الأمثلة ، فإنه حينئذ يكون قد خرج عن حده إلى ضده ، واستخدم بذلك فى غير موضعه .

أما الأمر الثالث فيما رآه النحاة عن المفاضلة بين اللغـات فهو اعتبارهم لغة أهل الحجاز أعلى مرتبة من غيرها من اللغات ، ويبدو ذلك فيما يلاحظ فى دراسة النحو العربى حين التعرض لظاهرة لهجيـة متعددة الأوجه ، إذ يوردون حينذاك هذه الأوجه منسوبة إلى القبائل ، مع تقديم ما ينسب إلى أهل الحجاز عن غيرهم .

وبالجملة فإن الانطباع الذى يخرج به المرء من تصفـح بعض المسائل التى تـكون لغة الحجاز طرفا فيها هو تعاطف النحاة مع هذه اللغة عموما ، وإن كان هذا العموم لا يقدم دليـــلا حاسما صريحا لإثبات ذلك عنهم ، كما فى النموذجين الآتيين :

• جاء عن الفراء قوله : واعلم أن كثيرا مما نهيتك عن الـكلام به من شاذ